الجميع في جنيف ما عدا سوريا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

كان الجميع موجودا في جنيف في مرحلة الإعداد لبدء اجتماعات اللجنة الدستورية السورية، وهي اجتماعات حضر لها غير بيدرسون مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة. يبدو واضحا أنّ بيدرسون يعرف في سوريا والمنطقة أكثر بكثير من سلفه استيفان دي ميستورا الذي تعاطى مع قضية في غاية التعقيد، ومع شعب يسعى إلى استعادة بعض من كرامته، بخفة ليس بعدها خفّة.

كان الجميع موجودا في جنيف، باستثناء سوريا، أي أن كلّ المعنيين الحقيقيين بسوريا كانوا هناك. على رأس هؤلاء وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، ووزير الخارجية الإيراني محمّد جواد ظريف، ووزير الخارجية التركي مولود تشاووش أوغلو. كانت أميركا حاضرة أيضا عبر جويل رايبرن أحد أبرز المختصين بالشرق الأوسط في الإدارة الأميركية. الغائب الأكبر، أقلّه ظاهرا، كان إسرائيل الشريك في تحديد مستقبل سوريا بعدما كرّست احتلالها للجولان في ظلّ تفهّم روسي وأميركي لمواقفها من الوجود الإيراني في ما كان يسمّى رسميا "الجمهورية العربية السورية". لعبت إسرائيل أوراقها في سوريا بطريقة ذكيّة. عملت كلّ ما تستطيع من أجل المحافظة على النظام، مدركة أنّها ستحصل في النهاية، عبر النظام ولا أحد غيره، على ما تعتبره الجائزة الكبرى، من وجهة نظرها، أي على هضبة الجولان المحتلة منذ 1967.

يكفي الاستماع إلى كلمتيْ ممثلّي النظام والمعارضة للتأكد من وجود هوّة حقيقية بين الجانبين. كانت لدى ممثل النظام لغته الخشبية المعتادة التي لا يمكن أن يتخلّى عنها يوما. وكان لدى ممثل المعارضة تحليلا دقيقا للوضع على الأرض، مع سلسلة من التمنيات التي لم يعد لديه ما يكفي من القوّة لتحويلها إلى واقع. حصل ذلك بعدما تكالبت كلّ القوى الإقليمية والدولية من أجل إجهاض ثورة الشعب السوري المستمرّة منذ ما يزيد على ثمانية أعوام، هذا الشعب الذي يصرّ النظام على أنّه "إرهابي"، وأن حربه على المواطن العادي، إنّما هي حرب على "الإرهاب".

رفض ممثل النظام في كلمة ألقاها في افتتاح اجتماعات جنيف الإقرار بأنّ ما تشهده سوريا ثورة شعبية حقيقية على نظام أقلّوي لا يؤمن سوى بإلغاء الآخر. بغض النظر عن الوضع الذي آلت إليه سوريا، يبقى أن في أساس كل ما يجري انفجار شعبي على صعيد البلد كلّه. هناك نظام انتهى وهو يرفض الاعتراف بذلك، وهناك سوريا مختلفة لا علاقة لها بسوريا التي عرفناها. هذا ما يرفض النظام الاعتراف به أيضا.

كان المشهد سوريا‌ليا عندما تحدّث النظام عن استعادة كل أرض سورية. هل دخلت تركيا إلى شمال سوريا بالتواطؤ مع الروسي والأميركي من أجل أن تخرج يوما؟ قد تخرج تركيا يوما من سوريا ولكن بعد خروجها من قبرص التركية التي تحتلّها منذ العام 1974!

ثمّة نقطتان مهمّتان من المفيد التوقف عندهما على هامش اجتماعات جنيف. النقطة الأولى مرتبطة بغياب أي شرعيّة من أيّ نوع للنظام القائم. النقطة الأخرى أنّ سوريا هي عمليا تحت الاحتلال، وأن قوى الاحتلال هي التي تقرّر مستقبل سوريا بوجود دستور جديد أو في غياب مثل هذا الدستور. لا يمكن لأي دستور سوري، مهما كان متقدّما وعصريا، أن يكون له أي معنى أو تأثير على الأرض في حال لم تكن هناك مرحلة انتقالية تؤمّن الانتقال إلى مرحلة جديدة لا علاقة لها من قريب أو بعيد بما كانت عليه سوريا منذ استقلالها في منتصف أربعينات القرن الماضي. فالنظام الذي سيطبق هذا الدستور لا يمكن أن يبقى نفسه. في النهاية، ما الفائدة من دستور يضمن كلّ الحرّيات العامة ويفصل بين السلطات في غياب رجال ومؤسسات على استعداد لتطبيقه؟

ليس النظام السوري القائم، وهو نظام عموده الفقري الأجهزة الأمنية، مؤهلا لتطبيق أي دستور، بما في ذلك الدستور المعمول به حاليا. هذا نظام وُلد من رحم انقلاب عسكري لمجموعة من الضباط الموتورين، معظمهم من حزب البعث، أسقطوا النظام في الثامن من آذار – مارس من العام 1963. جاء هؤلاء الضباط إلى السلطة باسم حزب البعث، بكل ما يمثّله من فكر متخلّف تغطيه شعارات الوحدة والحرّية والاشتراكية و"الأمّة الواحدة ذات الرسالة الخالدة". عن أيّ رسالة يتحدّث البعث غير رسالة الانقلابات العسكرية لضباط ريفيين حاقدين على المدينة لا يؤمنون سوى بحكم الأجهزة الأمنية؟

ما لبث هذا النظام أن تحوّل تدريجيا من حكم البعث إلى حكم العلويين بعد انقلاب 23 شباط – فبراير 1966. ثمّ ما لبث أن تحوّل في أواخر السنة 1970 إلى نظام العلوي الواحد (حافظ الأسد). مع وفاة حافظ الأسد في السنة 2000، وُلد نظام العائلتين، أو نظام عائلتي الأسد ومخلوف، الذي ما لبث أن صار في الأشهر القليلة الماضية نظام العائلة الواحدة بعد انتصر آل الأسد على آل مخلوف بالضربة القاضية نتيجة عوامل عدّة ستتولى الأيّام كشف خباياها.

هل هي مسألة دستور أم مسألة من يطبّق هذا الدستور؟ المسألة أن سوريا في حاجة قبل كلّ شيء إلى مرحلة انتقالية تمهّد لقيام نظام جديد يمتلك حدّا أدنى من الشرعية. المؤسف أن سوريا غير مؤهلة لمثل هذه المرحلة الانتقالية في ظل الاحتلالات الخمسة التي تعيش في ظلّها.

إذا وضعنا جانبا تسليم أميركا شؤون سوريا لروسيا ولكن مع الإصرار على البقاء في مناطق معيّنة، بما في ذلك مناطق آبار النفط والغاز السورية، هل في الإمكان إيجاد تفاهم بين الاحتلالات الأربعة الأخرى، أي بين روسيا وإيران وتركيا وإسرائيل؟

هذا هو السؤال الذي سيطرح نفسه مستقبلا، وليس هل سيكون لسوريا دستور جديد. أيّ سوريا ستبصر النور من تفاهم روسيا وإيران وتركيا وإسرائيل؟ يضاف إلى هذا السؤال هل سيبقى الأميركي مستسلما للروسي في سوريا في ظلّ تفاهم في العمق بين أنقرة وموسكو؟

هناك بالطبع مسألة ستطرح نفسها عاجلا أم آجلا. هذه المسألة مرتبطة بالضمانات التي تحتاج إليها إسرائيل بسبب الوجود الإيراني في سوريا ولبنان. سيبرز هنا مجددا الدور الروسي في التنسيق بين إيران وإسرائيل برعاية أميركية لم تعد تخفى على أحد.

بكلام أوضح، لن تعني اجتماعات جنيف الكثير حتّى لو نجحت في بلورة دستور سوري جديد. ما سيعني شيئا هو حصول تفاهم روسي – إيراني – تركي – إسرائيلي. في غياب مثل هذا التفاهم لا وجود لأي ضوء في نهاية النفق السوري، وستظل سوريا الغائب الأكبر عن اجتماعات جنيف. حضر الجميع إلى المدينة السويسرية ولم تحضر سوريا...

دواعي تأخر اقتحام طرابلس

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

السبت القادم تكون قد مرت ستة أشهر على إطلاق الجيش الوطني الليبي عملية "طوفان الكرامة" لتحرير طرابلس من حكم الميليشيات المسلحة وجماعات الإرهاب ودواعش المال العام، والتي دشنت في الرابع من أبريل الماضي بقرار من القيادة العامة للقوات المسلحة، وتداخلت فيها معطيات عدة محلية وإقليمية ودولية، لعل أبرزها الاندفاع التركي المحموم لدعم الميليشيات بالسلاح والخبراء ونقل الإرهابيين من شمال سوريا إلى محاور القتال في غرب ليبيا.

كثر هم الذين يتساءلون: ولكن إلى أين وصلت المعركة؟ عندما يجيب أمراء الحرب عن هذا السؤال، سيقولون أن ميليشياتهم صمدت في ساحات القتال، ومنعت "قوات حفتر" من اقتحام العاصمة، فأطاحت بـ"الانقلاب العسكري" على "الدولة المدنية"، وكبّدت "الغزاة" خسائر في الأرواح والمعدات.

أما الجيش الوطني فسيجيب بأنه صار على بعد كيلومترات من قلب العاصمة، وسيطر على مواقع إستراتيجية مهمة حولها، وبات يهيمن على أجواء البلاد بما في ذلك المنطقة الغربية، ونجح في تكبيد الميليشيات خسائر كبرى، وفي القضاء على أعتى رؤوس الإرهاب والتمرد، وفي رفع سقف أهدافه بقصف مدينة كانت تعتبر محصنة وهي مصراتة، وفي ضرب مواقع العدو وسط طرابلس ذاتها، وفي الرد بقوة على التدخل التركي عبر استهداف منصاته وغرف عملياته.

الجيش استطاع كذلك أن يتمركز في واحدة من أهم مدن غرب البلاد وهي ترهونة، وأن يحصّن مواقع انتشاره في صرمان وصبراتة والعزيزية وأغلب مناطق محيط طرابلس، وفي قاعدة الوطية الجوية، وأن يحمي بتلك التمركزات المهمة مواقع نفوذه في الجبل الغربي وأن يقطع طريق الجفرة والجنوب أمام الميليشيات، وأن يقضي على أعداد كبيرة من فلول متشددي المنطقة الشرقية الذي فروا نحو غرب البلاد بعد هزائمهم في معارك أجدابيا وبنغازي ودرنة.

كما يمكن للجيش أن يتحدث عن نجاحه في تكريس شرعيته الوطنية بعد أن بات يجمع في صفوفه مقاتلين من مختلف جهات ومدن وقرى وقبائل ليبيا، وعن تحقيقه مصالحة وطنية تحترم السير التاريخي للقوات المسلحة، وكذلك عن دخوله ساحات المعارك بعقيدة عسكرية موحدة وتراتبية وظيفية احترافية تعيد إليه الاعتبار على رأس مؤسسات الدولة.

أما عن تأخر معركة الحسم، فالموضوع يبدو شائكا وكثيرا ما يحاول المسؤولون عدم الخوض في تفاصيله. لكن الواضح أن ما يدور في ليبيا ليس بعيدا عمّا يدور في الإقليم والعالم، القوى الدولية المؤثرة تبدي تأييدا لعمليات الجيش الليبي، رغم أن بعضها قد يثير بعض التحفظات، ولذلك لم يصدر أي قرار دولي ملزم بوقف المعارك، أو حتى بالتنديد بتقدّم الجيش، ولم يعد خافيا أن القيادة العامة للقوات المسلحة تحظى بتفهم أغلب العواصم بما في ذلك واشنطن، وهي اليوم القوة الأبرز ليس في ساحة المعارك فقط، وإنما كذلك في ما يتعلق باتخاذ القرار السياسي، بعد ثبوت فشل المجلس الرئاسي واعتماده على قوى إرهابية ومرتزقة في محاولة صده "طوفان الكرامة".

لكن الواضح كذلك أن العالم يريد من الجيش القضاء على أكثر ما يمكن من مسلحي الميليشيات والجماعات الإرهابية، وأن يستنزف جميع إمكانياتها قبل اقتحام العاصمة، لا أحد من القوى الكبرى يمكن أن يدافع عن مسلحين خارج القانون، أو عن أمراء حرب يعلمون على عرقلة إعادة بناء الدولة، ولا حتى عن حكومة تتمترس وراء مرتزقة وإرهابيين ومجرمي حرب وتجار بشر ولصوص متخصصين في نهب المال العام.

كل المؤشرات تؤكد أن العالم بات يدرك طبيعة الميليشيات المسيطرة على طرابلس، وبالتالي فهو يطلق أيادي الجيش للقضاء عليها، ولكن حتى هذا الموقف يمثّل بالأساس اختبارا للقوات المسلحة، ستكون أغلب العواصم المؤثرة إقليميا ودوليا سعيدة بتدمير بنية الميليشيات وتصفية رموزها وإنهاء دورها، ولكن على أن يكون ذلك على أيدي القوات المسلحة دون غيرها.

يمتلك الجيش الوطني الليبي من القوة العسكرية ما يجعله قادرا على دخول العاصمة ليس الآن فقط، ولكن منذ الأيام الأولى لعملية طوفان الكرامة، وليس خافيا أن الوحدات الخاصة قادرة على تنفيذ عمليات إنزال في قاعدة بوستة البحرية حيث مقر المجلس الرئاسي، وعلى خوض حرب شوارع مع الميليشيات من قبل قوات متدربة على العمليات داخل مناطق العمران، وكان لبعضها دور الحسم في بنغازي ودرنة.

لكن ما يمنع ذلك هو أن القضاء على الجانب الأكبر من الميليشيات هو مفتاح طرابلس، واقتحام العاصمة ليس قرارا فرديا من قبل القيادة العامة، وإنما هو قرار إقليمي ودولي لم يُتّخذ بعد، وسبب التأخر في اتخاذ القرار أن العالم لا يريد لطرابلس أن تكون مجالا لحرب أهلية تذكّر ببيروت وكابول ومقديشو وسراييفو، المطلوب هو أن يكون دخول العاصمة الخطوة الأخيرة التي يخطوها الجيش بعد إنهاك مسلحي الوفاق وإنهاء دورهم.

اليوم وبعد ستة أشهر يمكن القول إن الجيش نجح في تدمير أكثر من نصف إمكانات الميليشيات، ولكن الأهم من ذلك أنه أمسك بقصب السبق في الجو، وحوّل الأرض إلى مصيدة للإرهابيين، ودفع بالعالم للاعتراف بنجاحه في ذلك، ولن يطول الانتظار قبل أن نرى قواته تقتحم طرابلس، أما المؤتمرات والاجتماعات وغيرها، فهي تستهدف بالأساس ترتيب ما بعد تلك المرحلة، فلا أحد مع الميليشيات ولكن لكل طرف القوى التي يريد أن يراهن عليها في المشهد السياسي القادم.

لبنان الشعب يتآمر على لبنان الحزب

فاروق يوسف
كاتب عراقي

كان متوقعا أن يعتبر حسن نصرالله، الأمين العام لحزب الله، الاحتجاجات الشعبية اللبنانية مؤامرة على المقاومة. أما كيف ولماذا، فلأن السيد قد أدرك أن المحتجين لم يعد يخيفهم سلاح حزب الله، الذي كان وسيلة للهيمنة على الدولة حتى باتت تلك الدولة بمثابة دولة لحزب الله. وهو ما دفع بهم إلى الوصول إلى الأقصى في مطالبهم، حين لم يكتفوا بالمطالبة بإسقاط الحكومة بل وأيضا بإسقاط النظام الطائفي الذي تستند عليه، وهو ما يعني إزالة دولة حزب الله.

خرج اللبنانيون إلى الشوارع من أجل طي صفحة الدولة الطائفية إلى الأبد. ومن حق نصرالله وأوليائه في إيران أن يعتبروا ذلك الاحتجاج مؤامرة تهدف إلى إنهاء مشروعهم، الذي يستمد وجوده من استمرار بقاء تلك الدولة

الشعب اللبناني يتآمر على دولة حزب الله من أجل إسقاطها. تلك حقيقة لا لبس فيها. وهو في طريقه إلى إسقاط تلك الدولة يطالب بمحو كل رموز الفتنة الطائفية من المشهد السياسي، الذي يحتاج إلى أن يكون نظيفا من أجل إقامة دولة المواطنة، التي لن تكون عاجزة عن استيعاب الكفاءات اللبنانية المقيمة والمهاجرة، من خلال استعادة حس المواطنة ووعيها اللذين سيعيدان إلى الشعب اللبناني هويّته.

قد يُقال إن اللبناني لا يزال متمكنا من تطوير عناصر هويته الخاصة بما يلائم العصر. ذلك ليس صحيحا. فحزب الله، وقد احتوى الدولة وصار الآمر الناهي فيها، في طريقه إلى أن يغلق كل الآفاق التي من شأنها أن تجعل اللبنانيين أحرارا في التحكم بشؤون حياتهم. ذلك الحزب الذي صار سيد الدولة هو جزء من مشروع إيراني لن يكون لبنان بموجبه إلا إقطاعية تابعة لسلطة الولي الفقيه، وهي سلطة لا تعلو عليها أي سلطة أخرى.

بسبب دولة حزب الله لم يعد لبنان ملكا لأبنائه، ولم يعد اللبنانيون سادة في بلادهم.

ذلك جوهر الحكاية التي دفعت اللبنانيين إلى رفض الطبقة السياسية التي يقوم وجودها على نظام طائفي سمح لحزب الله بأن يقودها، بعد أن تعهد بأن يضمن مصالحها. لقد خانت تلك الطبقة السياسية لبنان وشعبه حين تخلت عن حريتها النسبية داخل النظام الطائفي، مقابل أن تتمتع بامتيازات غير مسبوقة على حساب الشعب اللبناني. ما كان يجري في الحياة السياسية اللبنانية هو عبارة عن مسرحية يديرها حزب الله تمهيدا لإعلان لبنان ولاية إيرانية.

كل ذلك كان واضحا بالنسبة لحسن نصرالله، بالرغم من أن المتظاهرين لم يرفعوا شعارا واحدا ضد حزب الله. يكفي أنهم رفعوا شعار "كلن يعني كلن"، بمعنى "كلهم يعني كلهم"، ليشعُرَ نصرالله بالفزع والذعر. فالاحتجاجات وصلت إلى باب بيته، وهو ما يشير إلى أن "المؤامرة الأميركية الصهيونية السعودية" قد وضحت خيوطها وصار الحبل قريبا من رقبته. فهل يستسلم وهو المدجج بالسلاح والمكلف من قبل سيده الولي الفقيه بحماية المشروع الإيراني؟

وإذا ما كان حزب الله قد تمكن من اختطاف جزء ليس قليلا من الشعب اللبناني ووضعه تحت قبضته من خلال عملية غسيل مستمرة للعقول، فإن هناك جزءا أكبر من الشعب اللبناني بقي حريصا على نظافة عقله ولا يزال حريصا على لبنانيته. وهو ما مكن اللبنانيين من رؤية الحقيقة كما هي والخروج إلى الشوارع، دفاعا عن الحقيقة في مواجهة واقع زائف سعى حزب الله إلى اعتباره رمزا لمقاومة لم تعد ضرورية بسبب انتفاء الحاجة إليها.

مع مضيّ الوقت تحولت المقاومة إلى كذبة، يستعملها حزب الله من أجل تبرير وجوده خارج الشبهات والمساءلة.

"لقد أثقلت حياتنا بالمآسي سيد نصرالله"، ذلك ما يقوله لسان كل لبناني، سواء كان معارضا لحزب الله أو مواليا له. فالمقاومة كانت شعارا فجائعيا دفع ثمنه اللبنانيون، وهو ثمن كان أكبر بكثير من الثمن الذي دفعته إسرائيل. كانت مقاومة نصرالله أشبه بشعار تحرير القدس، الذي رفعه النظام الإيراني بشرط أن يسبق تنفيذه الشروع بتدمير العالم العربي من خلال احتلاله.

بحجة المقاومة احتل حزب الله لبنان وفكك دولته وأقام دولة بديلة هي دولته.

ذلك الواقع البائس هو الذي دفع باللبنانيين إلى الخروج إلى الشوارع محتجين من أجل طي صفحة الدولة الطائفية إلى الأبد. ومن حق نصرالله وأوليائه في إيران أن يعتبروا ذلك الاحتجاج المؤامرة التي تهدف إلى إنهاء مشروعهم، الذي يستمد وجوده من استمرار بقاء تلك الدولة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk